عبد الرحمن الداخل وبناء دولة الأندلس الأموية

(138هـ ـــــ 172هـ)

د. هاجر أبو القاسم محمد الهادي[1]

الملخص

وصف المؤرخون الأندلس بالجزء المفقود ولكن هناك من القادة من كتبوا على صفحاتها ملامح وملاحم عن العز والمجد ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك الملقب (بالداخل) الذي خرج من الشام طريدا هاربا من بطش العباسيين، وما أن وصل إلى الأندلس وجدها متنازعة بين الطوائف والقبائل فانشأ دولة قوية استمرت أربعة وثلاثين عاما تمكن خلالها من القضاء على الفتن والثورات كان أولها انتصاره في معركة المصارة وبداية التحول التاريخي في الأندلس.

كما تصدى لدولتين قويتين هما الدولة العباسية في المشرق ودولة شارلمان في فرنسا فكانت له الغلبة عليهما، واهتم بجانب بناء أسطوله الحربي بالنهضة العلمية و العمرانية.

وبذلك يكون قد رسم صفحات ناصعة في تاريخ الأندلس من خلال انجازاته التي حفلت بها المصادر التاريخية كأعظم قائد في تحقيق وحدة الأندلس ونهضتها وازدهارها.

Abstract

Historians and Andalusians describe the Andalusia as a missing part, but there are leaders who wrote on its pages features and heroic poem of glory and praise. Among them is Abdul Rahman bin Hisham bin Abdul Malik, known as (Aldakhil), who came out of Syria fleeing from the Abbasid oppression, and when he arrived in Andalusia and found a conflict between Tribes and communities. Then he established a strong state lasted thirty-four years during which he was able to eliminate the sedition and revolutions was the first of his victories was in the Battle of Masara and the beginning of the historic transformation in Andalusia.

He also dealt with two strong states, the Abbasid state in the Levant and the state of Charlemagne in France, he conquered over them. He also took care to build his military fleet with scientific and construction renaissance.

In this way, he has drawn the pages of the noble history of Andalusia through his achievements, which were celebrated by the historical sources as the greatest leader in achieving the unity of Andalusia and its rise and prosperity

1 أستاذ

مقدمة:

وصف المؤرخون الأندلس بالجزء المفقود ووصفها آخرون بالسقوط وآخرون بغروب الأندلس. وتاريخ الأندلس صفحات فيها العز والمجد كما فيها الهزيمة والضياع ولما كان التاريخ يعيد نفسه. ولكن قد تختلف الألوان والمظاهر؛ فالأرض هي الأرض والإنسان هو الإنسان ومجريات الحوادث في كل زمان ومكان تتشابه كان لابد من إعادة قراءة التاريخ بنظرة فاحصة لاستنباط العبر والدروس.

الإطار المنهجي للدراسة:

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الورقة في نجاح عبد الرحمن الداخل في إقامة دولة قوية مكتملة القواعد الوقت الذي انهزمت فيه الدولة الأموية في المشرق وتمكن من بناء دولة قوية استمرت أربع وثلاثين عاماً.

سبب اختيار الموضوع:

أهمية الاطلاع على مقدرة عبد الرحمن الداخل التي استطاع خلالها القضاء على الولاة، والذين كانوا قبله في نزاع وصراع دائم فتمكن من توحيد الأندلس في قبضته والقضاء على الثورات الواحدة تلو الأخرى بالإضافة إلي تصديه إلي قوتين خطيرتين هما الدولة العباسية في المشرق ودولة شارلمان في فرنسا.

أهداف البحث:

الاطلاع على نموذج لقائد استطاع بناء دولة قوية بعد شتات فكون الأسطول الحربي وأهتم بتنمية الحياة العلمية والنهضة العمرانية استطاع من خلالها بناء دولة قوية حتى وفاته، فهو نموذج لشخصية رسمت صفحات ناصعة في تاريخ الأمة الإسلامية استحقت بها المزيد من الدراسة والبحث من خلال إنجازاته العظيمة التي حفلت بها المصادر التاريخية.

أسئلة البحث:

وتجيب هذه الدراسة على سائلة البحث والتي تتمثل في كيفية التخطيط لبناء دولة الأندلس، وكيفية بناء أسطوله الحربي، وإلى أي مدى اهتم عبد الرحمن الداخل بالجوانب العلمية والدينية والحضارية في فترة حكمه.

جغرافية الأندلس:

تعلو سطح الأندلس سلاسل جبلية عديدة أشهرها جبال السند في الجنوب. كما توجد في الشمال جبال (البرانس) التي ليس فيها ممرات إلا ممر واحد لذلك كانت هذه السلسلة سداً منيعاً لفرنسا في الجنوب من جهة اسبانيا، ويفصل بحر الزقاق "مضيق جبل طارق" الأندلس عن الشمال الأفريقي، ويستطيع أن يرى الناظر الشط الأوروبي من المغرب بالعين المجردة.

سكان الأندلس:

سكنها الروم منذ عام 201 ق.م. وكان لقب الروم يطلقه العرب على كل الأجناس التي كانت تسكن أوروبا، وقد هاجمت أوروبا في القرن الخامس الميلادي قبائل الوندال. حتى وصلت هذه القبائل إلي الأندلس واستقرت فيها. ثم جاءت قبيلة (القوط) من ألمانيا واستقرت فيها وحكمت الأندلس ثلاثة قرون حتى أوائل القرن السادس الميلادي وبقيت تتمتع بقوة عسكرية قوية. وتعاقب على الحكم فيها ست وثلاثون ملك منهم.

كانت الأندلس تشكو الفساد الاجتماعي وعدم الاستقرار وساد فيه النظام الطبقي مما أثار الصراع المستمر بين طبقات الشعب[1].

الأوضاع في المشرق:

ما إن سقطت الدولة الأموية في المشرق حتى بادر العباسيون بتعقب بني أمية في كل مكان؛فكانوا يبعثون في إثرهم العيون للقبض على من تبقى منهم، وقد بذل الأمير عبدالله بن علي الملقب بالسفاح قصارى جهده - وكان ولي أمر الشام- في التنكيل بهم، حتى أنه أصدر أمراً بالأمان لمن يسلم نفسه منهم ولكنه كانم يريد الظفر بهم ليذيقهم سوء المصير، فقد قضى على مجموعة كبيرة منهم بعد أن دعاهم إلي وليمة خاصة[2]. ولم ينج من بطش العباسيين إلا القليل.

لقد أخطأت الدولة العباسية في الطريقة الوحشية التي قضت بها على الأمويين فمهما كان فساد الأمويين فإنه كان الأجدر بهم أن يكسبوهم بالحوار أو المفاوضات أو أن تقتطع لهم إمارة أو ولاية يقومون على أمرها؛فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن الثأر والدماء لا تورث إلا ثأراً ودماء، فقد أعمل العباسيون سيوفهم قتلاً وتنكيلاً لكل من كان مؤهلاً من الأمويين لتولي الخلافة فقتلوا الأمراء وأبناء الأمراء وأحفاد الأمراء.

---

1 - محمد كمال شبونة-الأندلس- دراسة تاريخية حضارية. دار العالم العربي –القاهرة 2008 صـــ39.

2- المرجع نفسه - صـــ39.

الأوضاع في المغرب العربي:

وعندما وصل عبد الرحمن الداخل إلي المغرب وجد فيها عبدالرحمن الفهري وكان قد فر من الأندلس وأستطاع أن يخضع المغرب ويظهر على أفريقية، ولم يكن قد أعطى العهد للعباسيين ولم يبايعهم بعد، لذلك إلتجأ الأمويون إلي أفريقياة وكثر عددهم وبخاصة في العاصمة القيروان،مما أدى لخشية الفهري منهم لذلك لاحقهم وقتل ابنين للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وضيق على الباقين وصادر أموالهم وقتل معظم من وجدهم، وأشتد الطلب على عبد الرحمن بن معاوية فهرب إلي ليبيا وأراد أن يختبر الأندلس؛ فأرسل مولاه بدرً ليتصل بأنصاره ومريديه هناك ويطلب منهم معاونته وتأييده في حكم الأندلس، فوافقوا على ذلك وأنتشر خبره بينهم [1].

مدخل:

الأوضاع في الأندلس قبل 138هـ:

لما عزل موسى بن النصير في سنة 192 هـ استخلف عليها ابنه عبدالعزيز وضبطها وحمى ثغورها وأفتتح مباني كثيرة وبقي أميراً عليها حتى قتل سنة 98 هـ، وبقي أهل الأندلس ستة أشهر لا يجمعهم والي ثم إتفقوا على حبيب بن أيوب اللخمي وتحول إلي قرطبة وجعلها دار الإمارة ، ثم أستعمل سليمان بن عبدالملك بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنتين وتسعة أشهر وتوالى عليها عدد من الولاة حتى سنة 136هـ حيث توالى عليها القحط وتضعضعت[2].

كانت الأندلس تحت سيطرة الولاة من قبل بني أمية فأضطرب أمرهم في سنة 126 هـ أي بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك، فوقع الإختلاف بين القبائل حتى أتفقوا بعد ذلك على تقديم يوسف بن عبدالرحمن الفهري فأستتب له الأمر وأتصلت إمارته إلي 138 هـ أي بعد ذهاب دولة بني أمية بست سنين [3] ولم يكن في وسع خلفاء بني العباس أن يعيدوا السيطرة على بلاد بعيدة في الأندلس وهم في دمشق.

وكان يوسف الفهري هو الوالي الرسمي للبلاد بينما الحكم الفصلي والإدارة بيد الرجل الثاني وهو الصميل بن حاتم وبينهما شئ من الخلاف يبدو ويستتر أحياناً[4].

---

1 - طارق السويدان –الأندلس التاريخ المصور- شركة الإبداع الفكري- الكويت – 2005م - صـ95.

2 - ابن الأثير – الكامل في التاريخ – دار إحياء التراث العربي – بيروت - ج5- 1965م- صـ493.

3 - عبدالواحد المراكشي –المعجب في تلخيص أخبار المغرب.تحقيق محمد سعيد العريان –الكتاب الثالث القاهرة 1963م. صـــ29.

4 - د. طارق السويدان – مرجع سابق –صـ95.

وكانت بالأندلس عدد من القبائل منهم اليمنيون والمغربيون والبربر بالإضافة إلي عدد كبير من موالي بني أمية الذين فروا إلي هناك عند ضعف الدولة الأموية وظهور دولة بني العباس.

واجتمعت اليمنية على نصرته كيداً ليوسف الفهري ووجد عبدالرحمن أن الظروف مواتية ونشبت الحرب بينه وبين الفهري حتى غلب يوسف على أمره ودخل قرطبة حاضرة ملكه[1].

عبد الرحمن الداخل:

اسمه وشخصيته:

هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو المطرف الأموي[2] سمي بالداخل لأنه أول من دخل من الأمويين الأندلس وكان حازماً في طلب الخارجين عليه[3].

شخصيته ومآثره:

قال بن حيان: كان عبدالرحمن راجح الحلم، راسخ العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، سريع النهضة، متصل الحركة لا يخلد إلي راحة، شجاعاً مقداماً، بعيد الغور بليغاً، مفوهاً، شاعراً محسناً، سمحاً سخياً، طلق اللسان. يلبس البياض، وكان قد أعطي هيبة من وليه وعدوه، وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس إذا كان حاضر الجمع والأعياد، ويخطب على المنبر ويعود المريض[4]. وعدد بن حيان صفاته الحميدة التي أهلته ليكون ملكاً للأندلس لأكثر من ثلاثين عاماً.

دخوله الأندلس :

انتهى عهد الولاة بالأندلس إلي حالة من الفوضى والانقسامات وكان في ذلك الوقت عبدالرحمن الداخل من الأمويين الذين فروا من بطش العباسيين وكان من أحفاد هشام بن عبدالملك وقد نشأ في بيت الخلافة الأموية وعندما علم بأنهم يطلبونه هرب إلي الفرات ومن ثم عبر الحجاز ومصر إلي قبيلة زناتة في ليبيا ثم يمم جهة بلاد المغرب لأن أمه كانت من البرابرة حتى وصل

---

1 - ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار إحياء التراث العربي – بيروت – ج4 – ب.ت –ص120.

2 - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر – تاريخ دمشق - تحقيق وشرح أبو عبدالله علي عاشور– دار إحياء التراث العربي- بيروت ط120011م صـ304.

3 - خير الدين الزركلي- الاعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين – تحقيق الدهان عبدالسلام- دار العلم للملايين الجزء3.ط16-2005م صـــ337.

4 - المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – دار صادر – بيروت – 1968م - صـــ37.

القيروان حيث وجد ثورة كبيرة للخوارج الذين علموا بقدومه وقرروا أن يقتلوه، فوجد نفسه محاصراً؛ ففي المشرق مطالباً بالعباسيين وفي المغرب محاصراً بالخوارج، فرجع من جديد إلي ليبيا وظل مختبئاً هناك طيلة أربع سنوات، بعدها فكر في الذهاب إلي الأندلس، وكانت الأندلس أصلح البلدان لاستقباله؛ لأنها أبعد الأماكن من الدولة العباسية في المشرق وكذلك أبعد من الخوارج في المغرب، كما أن الأوضاع في الأندلس تعاني من التدهور والضعف.

وفي سنة 136هـ- الموافق 753م. بدأ عبد الرحمن يعد العدة لدخول الأندلس فأرسل مولاه بدر إلي الأندلس لدراسة الموقف ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيه. كما راسل أتباع الأمويين المتواجدين داخل الأندلس [1].وكانت الأندلس تتنازع بين اليمنية -وزعيمهم أبو صباح اليحصبي، والقيسية –وزعيمهم الصميل بن حاتم -وهم الذين كانوا عمادا لدولة عبد الرحمن بن يوسف الفهري.[2] وقد راسل كل محبي الدولة الأموية بعد أن علمهم من مولاه بدر.[3]يعرض عليهم فكرته ، وأنه يعزم على دخول الأندلس ويطلب معونتهم ومددهم.[4]

كما راسل البربر يطلب معاونتهم ومساعدتهم والذين كانوا على خلاف شديد مع يوسف الفهري، وبدأ بالفعل في تجميع الأعوان ، وأستغرق ذلك عامين ثم أستقبل وفداً من الأندلس يخبره أن البلاد تجهزت لإستقباله. وتعاون معه ايضاً اليمانيون بقيادة أبوالصباح اليحصبي والذي كان سيطر على إشبيلية وكان على خلاف مع والي الأندلس يوسف الفهري.

تحرك عبدالرحمن الداخل نحو الأندلس في 138هـ واستقبله مولاه بدر[5]، وكان يحكم الأندلس آنذاك يوسف الفهري، ولكنه كان في الشمال لاخماد احدى الثورات هناك، *فوصل إلي المرية، وهناك إجتمع إليه أنصاره ومؤيدوه، فبدأ ينظم أموره ويستعد لملاقاة معارضيه.

ولما أنتظم الأمر للداخل أعلن إمارته استقلالاً عن الخلافة العباسية[6].

---

1 - ابن كثير (ابو الفداء اسماعيل بن عمر) – البداية والنهاية - تحقيق علي شيري – دار إحياء التراث العربي - بيروت – ج10 – ط1 – 1988م – ص80.

2 - ابن عذارى – البيان المعرب في أخبار الاندلس والمغرب – ج2 – دار الثقافة – بيروت - ب.ت – ص42.

3 - المقري التلمساني – مصدر سابق – ص 33.

4 -ابن الأثير – مصدر سابق – ص123.

5 -ابن عذارى – مصدر سابق – ص42.

6 - خير الدين الزركلي- مصدر سابق - صـ338.

ويذكر بن عساكر: وكان نزول عبدالرحمن قبل أن يعبر إلي الأندلس بقوم من البربر يقال لهم بنوماسين، فأقام عندهم ثم عبر إلي الأندلس، ثم إن عبد الرحمن وجه رسولاً من عند فعد البحر حتى أتى منزلهم فرحل بهم جميعاً [1].

في هذه الأثناء كان يوسف الفهري والي الأندلس والصميل في الشمال وحدث أن عامراً البدري وابنه قد ثارا على الوالي يوسف فلما استسلما قتلهما مما أثار الغضب والثورة بين أتباعهم.

وكان عبدالرحمن الداخل قد جمع 600 من أنصاره، وأتجه نحو رية وشذونة ومالقة وكلهم يؤيدونه، وكان يوسف والصميل عائدين من سرقسطة فورد إليهما خبر عبدالرحمن الداخل فقررا ملاطفته وإغراءه ليترك طلب الولاية ولكنه رفض التخلي عن طلبه ثم تحرك نحو إشبيلية وأنضم إليه أبو الصباح اليحصبي اليماني، وبذلك أستقر له الوضع في الجنوب فبدأ يفكر في الهجوم على قرطبة[2]. كان اللقاء الحاسم بين الفريقين في معركة المصارة في يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة [3]. لتكون هذه المعركة هي نقطة تحول في تاريخ الأندلس الحضاري دانت بعدها الأندلس لعبدالرحمن الداخل كإمارة أموية منفصلة عن الخلافة العباسية في المشرق.

معركة المصارة والتحول التاريخي:

لما أقبل عبدالرحمن الداخل إلي قرطبة خرج له يوسف الفهري، وكانت المجاعة قد توالت قبل ذلك ست سنين فأورثت أهل الأندلس ضعفاً، وكان نهر قرطبة حائلاً، فسار يوسف من قرطبة وأقبل بن معاوية من إشبيلية والنهر بينهما إلي أن حل يوسف بصحراء المصارة غربي قرطبة فتراسلا في الصلح وعبدالرحمن يضمر غير ذلك فقد أعد للحرب عدتها ثم أنهزم أهل قرطبة وظفر عبدالرحمن الداخل[4].

وكان عبدالرحمن الداخل قد طلب من الفهري والصميل قبيل القتال الدخول في مفاوضات بدلاً من سفك الدماء خاصة أن الوقت ينهى فيه عن القتال لكونه أيام عيد، وأشترط عبدالرحمن عليهما أن يمكناه من اجتياز النهر وما إن عبر النهر حتى كشف عن نيته وجاهر بأنه لا مفاوضة ألا على أساس أنه يتولى تأسيس دولة أموية في الأندلس مما يعني الصراع بين

---

1 - ابن عساكر – مصدر سابق - صـ305.

2 - طارق محمد السويدان– مرجع سابق - صـــ96.

3 - ابن الخطيب - تاريخ اسبانيا الإسلامية –ج2 - 1956م – صـ8.

4 -المقري التلمساني- مصدر سابق - صـــ33.

الطرفين[1]، ومن المؤسف أن يلتقي المسلمون بسيوفهم، ولكن كثرة الثورات والانقلابات جعلت الحل العسكري هو الحل الحتمي[2]، ففي موقعة المصارة دار قتال شرس بين يوسف الفهري ومعه القيسية من جهة وعبد الرحمن بن معاوية ومعه اليمانية من جهة أخرى، ودارت معركة قوية انتصر فيها عبد الرحمن الداخل وفر يوسف الفهري[3].

وانتهت معركة المصارة بانتصار عبدالرحمن الداخل على أعدائه، دخل على إثرها قرطبة وتمت سيطرته عليها ولقب بعبد الرحمن الداخل لانه أول من دخل من بني أمية قرطبة حاكماً[4]، وعرفت الفترة التي تلت دخوله قرطبة بفترة الإمارة الأموية (138- 316هـ)[5]، وبذلك تعتبر هذه المعركة هي الحد الفاصل بين عصر الولاة والصراعات وبين تأسيس إمارة الأندلس الأموية التي لعبت دوراً خطيراً في إعادة بقية الإمارات والقضاء على الثورات والمؤامرات التي سيرد ذكرها، بل وصمدت هذه الإمارة في صد هجمات المسيحين في الشمال ومقاومتهم والتوسع في الجنوب الفرنسي والذي دخلته القوات الإسلامية فاتحة منذ الفتح الإسلامي في 92هـ.

أهم الثورات التي واجهها:

تعرضت الدولة الأموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل لعدد كبير من الثورات، تزيد على خمس وعشرين ثورة تغلب عليها جميعاً[6].

لقد كان موقفه في قتال الثائرين داخل أرض الأندلس لا غبار عليه لأن الجميع كانوا قد اتفقوا عليه أميراً للبلاد[7]، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أتاكم وأمركم جميع مع رجل واحد فأراد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فأقتلوه)[8]، لذلك كان موقفه

---

1 محمد كمال شبانة- مرجع سابق - صـ42.

2 - راغب السرجاني – قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط – دار إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة – ط1 – 2011م – ص146.

3 - ابن عذارى – مصدر سابق – ج2 – ص47.

4 - ابن خلدون – مصدر سابق ج4 – ص122.

5 - راغب السرجاني – مرجع سابق – ص150.

6 - المرجع نفسه – ص151.

7 - راغب السرجاني – مرجع سابق – ص157

8 - مسلم النيسابوري – صحيح مسلم – باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع – حديث رقم 1852 – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ب.ت.

صارماً مع الثوار وذلك لقمع الانقلابات المتكررة، إلا أنه دائماً يميل للسلم وعرض المصالحة، ولا يلجأ للحرب إلا مضطراً.

1- ثورة يوسف والصميل:

فر يوسف بن عبد الرحمن الفهري والي الأندلس السابق من قرطبة واختفى فسأل عنه الداخل الصميل بن حاتم فقال له لا أعلم فقال الداخل: والله ماكان ليخرج إلا بعلمك فغضب الصميل وأغلظ له القول فأمر الداخل ببسجن الصميل وولدي يوسف عبد الرحمن وأبو الأسود ، وظهر يوسف في عاصمة الغرب "ماردة" يجمع الجموع من بعد ذلك.

تمكن أنصار الصميل من أن يدبروا مكيدة فدخلوا إلى السجن و أخرجوا من فيه ، فأما الصميل أخذته الأنفة فرفض أن يخرج من السجن هارباً ، وأما عبد الرحمن بن يوسف فلم يستطع أن يتابع لسمنه فقبض عليه ولم يهرب إلا أبوالأسود محمد بن يوسف.

قتل يوسف الفهري على بعد أربعة أميال من طليطلة أثناء تأهبه للتورة على طليطلة،قتله رجل يدعى عبدالله بن عمر الأنصاري وأرسل رأسه للداخل ، فأمر بقتل الصميل بن حاتم وتتبع أنصاره وأنصار يوسف الفهري ، فصفى رجال الحكم السابق الذين ما تركوه على حاله إذ دخل الداخل إلى الأندلس بنفس سموحة متسامحة لكن هؤلاء ما تركوه.

2-ثورة العلاء بن المغيث اليحصبي:

ولعل أهم هذه الثورات هي التي حدثت بعد ثماني سنوات من تولي عبد الرحمن الداخل حكم الأندلس، وقام بها رجل يدعى العلاء بن المغيث الذي طلب منه ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي قتل عبد الرحمن بن معاوية لضم الأندلس إلى أملاك الدولة العباسية.

وقعت حادثة كانت من أخطر الحوادث التي مرت على عبد الرحمن الداخل في عام 146هـ ،إذ عبر داع من دعاة العباسيين شمال إفريقية ودخل الأندلس، وهو داعية يسمى " العلاء بن المغيث اليحصبي" ،أرسله الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور للسيطرة على الأندلس وجعلها تابعة للخلافة العباسية ، فنزل العلاء"باجة" واجتمع الناس حوله حين أعلن أنه ينبغي أن يكون خليفة واحد على المسلمين،والآن الخلافة بيد العباسيين فهم أولى بالإتباع من غيرهم (فنقل الصراع إلى الأندلس بين العباسيين والأمويين) فاجتمع حوله أعداء عبد الرحمن الداخل،رجال

الحكم السابق ،البربر وأنصار العباسيين ،وهيأ منهم جيشاً دخل إلى "شدونة" واستقبله أهلها ووالياها، ثم استمر للوصول إلى عاصمة المنطقة "إشبيلية"[1].

أرسل الداخل جيشاً بقيادة مولاه "بدر" فتمكن من إعادة السيطرة على" شذونة " إلا أن العلاء وجيشه تمكنوا من دخول "إشبيلية " العاصمة واستولوا عليها، وهرب جيش الداخل وهو يقوده إلى مدينة "قرمونة" يتحصن بها ، وبقي حاكم الأندلس وجيشه محاصراً من قبل العلاء وقوته في تلك المدينة شهرين، لكن عبد الرحمن الداخل فاجأ العلاء وجيشه إذ فتح الأبواب وهجم مباغتا ب سبعمائة رجل فقط حيث دب الرعب في صفوف الثوار وجرى القتل بينهم ، وفر العلاء واستطاع أشخاص الداخل اللحاق به وقتله ، كما قتلوا من أنصاره سبعة آلاف رجل ، قطع عبدالرحمن الداخل رأس العلاء وعلق على اذنه رسالة مسجلة إلى أبي جعفر المنصور ، حيث وضع الرأس في صندوق ، كما جمع رؤوس بعض قادة أنصار العباسيين في صناديق تحمل داخلها رسائل مسجلة معبرة ، معلقة في اذان القتلى إلى مكة إذ كان أبو جعفر المنصور يحج ذلك العام.[2]

وضعت الصناديق في أماكن متفرقة من أنحاء مكة ، أما الصندوق الذي فيه رأس العلاء فقد وضع قرب خيمة أبي جعفر المنصور ليلاًبعملية تسلل غريبة جداً، ولما استيقظ المنصور وجد الصندوق ، وفتحه فإذا فيه ما رأى فقال: عرضنا هذا البائس (العلاء) لحتفه ، ماهذا (عبدالرحمن الداخل) إلا شيطان ، ومافي هذا الشيطان من مطمع !! والحمدلله الذي جعل بيننا وبينه البحر[3].

3- ثورة أبو الصباح اليحصبي 149هـ:

تطورت الأحداث في الأندلس عام 141هـ فقد وصل إلى الأندلس المشتتون من الأمويين ووصل من بينهم رجل كبير ذو شأن هو "عبد الملك بن عمر المرواني" ومعه عشرة من كبار الأمويين.

عزل عبد الرحمن الداخل " أبا صباح اليحصبي " حليفه السابق من إشبيلية وكان قد سمع مقالته بعد الانتصار على قوات الفهري والصميل، وولى عبد الملك بن عمر على إشبيلية ، كما ولى ابنه عمر أيضاً على " مورو " فأصبح بذلك معظم ولاة الأقاليم من بني أمية.

---

1 - راغب السرجاني - مرجع سابق – ص165.

2 -المرجع نفسه – ص162.

3 - المرجع نفسه – ص 158.

لذلك خرج عليه حليفه السابق " أبوصباح اليحصبي" أيام دخول عبدالرحمن الأندلس، وكان حاكم إشبيلية ،إلا أنه كان قد أسر بقتله لكن أصحابه لم يرضوا بذلك ، وقد وصل هذا الأمر عبد الرحمن فأسره في نفسه ،ثم ولاه اشبيلية ثم عزله، فثار عليه وكان شجاعاً قوياً له أنصار كثر ،فاستماله عبد الرحمن حتى جاءه في قرطبة وانفرد به الداخل فقتله.

3- فرويلا بن ألفونسو الأول:

استغل الفرنج هذه الفترة الحرجة التي مرت من عصر عبد الرحمن الداخل ، وانتفع "فَرويلا" الذي ورث عن والده "الفونسو الأول" بما كان من أحداث داخلية ، واضطرابات متواصلة في الأندلس و الشمال ، فاستولى على عدد من المناطق المجاورة لمنطقة الصخرة "منطقة ليون " إلا أن الداخل أرسل إليه من يحاربه ، وجرت الحرب سجالاً بينه وبين "فرويلا" ثم أرسل عبد الرحمن مولاه بدراً فأوقف تمدده فترة من الزمن، بعد أن وصل إلى" ليون".

كل هذه الحوادث قد جرت في الاندلس وتعتبر من الإضطرابات التي شغلت عبد الرحمن الداخل عام 150هـ

4- سليمان الاعرابي:

زها سليمان بن يقظان الاعرابي بانتصاره على عبد الرحمن الصقلبي فأعلن الثورة على الداخل وهاجم عاصمة الشمال "سرقسطة" وتمكن منها هو وجماعته.

4-سليمان الأعرابي وشارلمان:

استطاع عبد الرحمن الداخل أن يخضع البربر، لكنه ما استطاع أن يخضع الثورة التي نشبت في عاصمة الشمال سرقسطة التي استقر فيها سليمان الأعرابي، كما ثار الحسين بن يحي الأنصاري، فأرسل إليه جيشاً كثيفاً يقوده ثعلبة بن عبيد ،فقاتله قتالاً شديداً وذلك عام 164هـ ،وفي بعض الأيام عاد ثعلبة غلى مخيمه ، فاغتنم سليمان غرته وافتراق أهل الجيش عنه فخرج إليه وقبض عليه ، وأخذه أسيراً ،لذلك تفرق عسكره.

وخاف سليمان من الداخل فأحدث خيانة ما حدثت من قبل بين المسلمين فاتصل بملك من الكفار ليعينه حتى يتفرد بحكم الأندلس، وهو شارلمان إمبراطور" الكارولنجية " القبائل الأوروبية التي سكنت ألمانيا في ذلك العصر –ويعرض له مقابل ذلك أن يسلمه منطقة الشمال كلها وعاصمتها سرقسطة ايضاً ليضمها إلى إمبراطوريته المترامية الأطراف فسار شارلمان نحو الجزيرة الأندلسية يدفعه الطمع والعرض المغري الذي سبق مخترقاً جبال البيرينيه "البرت" ولما وصل إلى سرقسطة وجد أهلها قد تحصنوا بها وأغلقوا أبوابها ورفضوا أن يدخلها واحد من جيش

شارلمان أو غيره و إذ يوجد بين المسلمين في كل زمان ومكان من علماء المسلمين من يحرك الناس ويثيرهم ويوقظ هممهم وينبههم إلى مثل هذه الجرائر التي ترتكب وإلى عظمها بحق الإسلام والمسلمين.

نهض العلماء في سرقسطة فعزلوا سليمان ، وأيدوا الحسين بن يحي الذي عارض حليفه ، وقاد المقاومة الضارية ضد شارلمان الذي شدد حصاره على هذه المدينة حصاراً كاد يهلك أهل سرقسطة.

وشاء الله آن تتحول الأمور لصالح المسلمين ، بل ويغير وجه التاريخ ،لقد ثار على شارلمان قبائل السكسون في شمال ألمانيا وفرنسا ، فاضطر شارلمان أن يفك الحصار ويعود أدراجه خائباً، ولما كان يعبر جبال البيرينيه وممراتها الضيقة عائداً إلى بلاده هوجمت مؤخرة جيشه حيث كان فيها كبار ضباطه مع الغنائم والأسرى فأبيدت ،ووقعت الوقيعة بين الفرنجة أنفسهم.

شعر شارلمان نتيجة ذلك بضعف موقفه وتغيرت سياسته نحو الأندلس ، وظهر كأنه يؤثر السياسة السلمية تجاهها فأرسل وفداً على الداخل يدعوه إلى معاهدة بينهما فقبل الداخل بذلك وجرت معاهدة بينه وبين الفرنجة.

واستغل القوط هذه القلاقل والاضطرابات العديدة ، فاحتلوا الثلث من منطقة الشمال لكن عبد الرحمن استطاع أن يوقف تقدمهم[1].

خاتمة الثورات:

لقد قضى عبدالرحمن على كل الثائرين عليه والمتمردين بصورة حاسمة ولكن كان ثمن القضاء على هذه الثورات أن ضاعت كل المدن التي فتحها المسلمون في فرنسا فقد استردها المسيحيون في فترة انشغال عبد الرحمن بالحروب الداخلية وكانت تلك المدن يحكمها المسلمون طيلة سبع وأربعين سنة منذ أيام موسى بن النصير ولكنها السنن التاريخية في الحياة فما أن ينشغل المسلمون بالصراع والنزاع ووالمصالح تتوالى الهزائم وتتقلص أراضيهم بصورة حتمية.

عبد الرحمن الداخل وبناء دولته:

حين استتب الأمر لعبد الرحمن الداخل في أرض الأندلس ، وبعد أن انتهى نسبياً من أمر الثورات بدأ يفكر فيما بعد ذلك ، فكان أن اهتم بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً فقام بالآتي:

1 - طارق السويدان – مرجع سابق - ص75.

أولاً: إنشاء جيش قوي:

وفي بنائه لجيشه الجديد عمل على ما يلي:

أ - اعتمد في الأساس على عنصر المولَّدين، وهم الذين نَشَئُوا نتيجة انصهار وانخراط الفاتحين بالسكان الأصليين من أهل الأندلس.

ب - اعتمد كذلك على كل الفصائل والقبائل الموجودة في بلاد الأندلس، فضمَّ إليه كل الفصائل المُضَرِيَّة؛ سواء كانت من بني أمية أو من غير بني أمية، إلاَّ أنه بعد ثورة اليمانية لمقتل أبي الصباح اليحصبي[1] صار لا يطمئن إلى العرب، فأكثر مِنَ اتخاذ المماليك من غير العرب لاسيما البربر، حتى صار له منهم أربعون ألفًا، وبهم استقرَّ ملكه[2].

ج - كذلك اعتمد على عنصر الصقالبة[3]؛ وهم أطفالٌ نصارى كان قد اشتراهم عبد الرحمن الداخل من أوربا، ثم قام بتربيتهم وتنشئتهم تنشئةً إسلامية عسكرية صحيحة[4].

وبرغم قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وحيدًا، فقد وصل تعداد الجيش الإسلامي في عهده إلى مائة ألف فارسٍ غير الرجَّالة[5]، مشكَّلاً من كل هذه العناصر السابقة، والتي ظلَّت عمادَ الجيش الإسلامي في الأندلس لدى أتباع وخلفاء وأمراء بني أمية من بعده[6].

إنشاء المصانع ودور الأسلحة:

أنشأ عبد الرحمن الداخل -صقر قريش- دُورًا للأسلحة؛ فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طُلَيْطلَة ومصانع برديل.

إنشاء أسطول بحري قوي

أنشأ أسطولاً بحريًّا قويًّا، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء؛ كان منها ميناء طرطوشة وألْمَرِيَّة وإِشْبِيلِيَة وبَرْشُلُونَة وغيرها من الموانى[7].

---

1 - ابن عذاري- مصدر سابق –ج 2 - ص53.

2 - المقري – مصدر سابق - ج 3 - ص36.

3 - المصدر نفسه - ج3 - ص36.

4 - المصدر نفسه – ص53.

5 -المقري – مصدر سابق - ج3 - ص49

6 -ابن عذارى – مصدر سابق – ج2 – ص229.

7- المصدر نفسه – ص227.

تقسيم ميزانية الدولة:

كان عبد الرحمن الداخل يُقَسِّم ميزانية الدولة السنوية إلى ثلاثة أقسام: قسم يُنفقه بكامله على الجيش، والقسم الثاني لأمور الدولة العامَّة من مؤنٍ ومعمارٍ ومرتباتٍ ومشاريعَ وغير ذلك، والقسم الأخير كان يدَّخره لنوائب الزمان غير المتوقَّعة.[1]

ثانيًا: الاهتمام بالعلمَ والجانبَ الدينيَّ:

أعطى عبد الرحمن الداخل العلم والجانب الديني المكانة اللائقة بهما؛ فعمل على الآتي:

- نَشْر العلم وتوقير العلماء.
- اهتمَّ بالقضاء والحسبة.
- اهتمَّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- كان من أعظم أعماله في الناحية الدينية بناء مسجد قُرْطُبَة الكبير، والذي أنفق على بنائه ثمانين ألفًا من الدنانير الذهبية، وقد تنافس الخلفاء من بعده على زيادة حجمه؛ حتى تعاقب على اكتماله في شكله الأخير ثمانية من خلفاء بني أميَّة.[2]

وكان من العلماء في أيامه معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد الحضرمي، وكان من جِلَّة أهل العلم ومن كبار المحدِّثين، وقد أخذ عنه جملة من الأئمة؛ منهم :سفيان الثوري، وابن عيينة، والليث بن سعد، ويُذْكَر أن مالك بن أنس قد روى عنه حديثًا، وكان عبد الرحمن الداخل قد ولاَّه القضاء.[3]

وكان من علماء الأندلس في عهده -أيضًا- سعيد بن أبي هند، والذي لَقَّبه الإمام مالك بن أنس / بالحكيم؛ لِمَا عُرِفَ عنه من رجاحة عقله، وقد توفي أيام الداخل.[4]

وحينما دخل المسلمون فاتحين غلى الأندلس أقاموا عدة مساجد كان من بينها جامع قرطبة الذي اختطه وحدد قبلته حنش الصنعاني رضي الله عنه - مهندس المساجد في الأندلس - وكان

---

1 - راغب السرجاني – مرجع سابق - ص161.

2 - ابن عذاري – مصدر سابق - ج2- ص229

3 - أبو الحسن النباهي - تاريخ قضاة الأندلس – تحقيق لجنة إحياء التراث العربي – دار الآفاق – بيروت – 1983م - ج1 - ص43.

4 - أبو الوليد الأزدي - تاريخ العلماء بالأندلس- تحقيق عزت العطار الحسين – مطبعة المدني – القاهرة – 1988م - ج1-ص191.

موقعه في البداية كنيسة للنصارى تسمى (شنت بُنجنت) أي القديس منصور ، فاخذ المسلمون نصفها وأبقوا لهم النصف الآخر وكان المسجد وقتها في منتهى البساطة.

ثم إن عبد الرحمن الداخل في عام 170هـ اشترى من النصارى النصف الآخر من كنيستهم بمائة ألف دينار وهدم البناء القديم للمسجد ورفع مكانه بناء جديداً وصرف همته ليكون هذا المسجد الجديد الجامع في حاضرة ملكه قرطبة تحفة فريدة من حيث بهاؤه ودقة زخارفه وروعة منظره ، وفرش صحن المسجد بالأشجار وبلغ ما أنفقه فيه ثمانين ألفاً من الدنانير الذهبية [1].

ثالثًا: العناية الكبيرة بالجانب الحضاري المادي

ويبرز ذلك في الجوانب التالية:

- اهتمامه الكبير بالإنشاء والتعمير، وتشييد الحصون والقلاع والقناطر، وربطه أول الأندلس بآخرها.
- إنشاؤه الرُّصَافة، وهي من أكبر الحدائق في الإسلام، وقد أنشأها على غِرار الرصافة التي كانت بالشام، والتي أسَّسها جدُّه هشام بن عبد الملك- رحمه الله، وقد أتى لها عبد الرحمن بالنباتات العجيبة من كل بلاد العالم، فإذا نجحت زراعتها في الرصافة فإنها تنتشر في الأندلس كلها [2].

رابعًا: حماية حدود دولته من أطماع الأعداء:

بالإضافة إلى إعداده جيشًا قويًّا -كما أوضحنا سابقًا- وتأمينًا لحدود دولته الجديدة قام عبد الرحمن الداخل بخوض مرحلتين مهمتين:

المرحلة الأولى: كان عبد الرحمن الداخل يعلم أن الخطر الحقيقي إنما يكمن في دولتي ليون في الشمال الغربي، وفرنسا في الشمال الشرقي من بلاد الأندلس، فقام بتنظيم الثغور في الشمال، ووضع جيوشًا ثابتةً على هذه الثغور المقابلة لهذه البلاد النصرانية، وهي:

- الثغر الأعلى؛ وهو ثغر سَرَقُسْطَة في الشمال الشرقي في مواجهة فرنسا.
- الثغر الأوسط؛ ويبدأ من مدينة سالم ويمتدُّ حتى طُلَيْطلَة.
- الثغر الأدنى؛ وهو في الشمال الغربي في مواجهة مملكة ليون النصرانية.

---

1 - راغب السرجاني – مرجع سابق – ص160.

2 - ابن الأثير- مرجع سابق - ج5 -ص280.

المرحلة الثانية: كان عبد الرحمن الداخل –رحمه الله- قد تعلَّم من آبائه وأجداده عادة عظيمة، وهي عادة الجهاد المستمرّ وبصورة منتظمة كل عام، فقد اشتُهِرَت الصوائفُ في عهده؛ حيث كان المسلمون يخرجون للجهاد في الصيف وبصورة منتظمة؛ وذلك حين يذوب الجليد، وكان يتناوب عليهم فيها كبار قوَّاد الجيش، بهدف الإرباك الدائم للعدوّ، وهو ما يُسمُّونه الآن في العلوم العسكرية بالهجوم الإجهاضي المسبق.

عاش عبد الرحمن الداخل تسعا وخمسين سنة منها تسعة عشرة في دمشق والعراق قبل سقوط دولة الأمويين، وست سنوات فرارا من بني العباس، وتخطيطا لدخول بلاد الأندلس، وأربع وثلاثون سنة ملكا لبلاد الأندلس، وتوفى بقرطبة ودفن بها في جمادى الأولى 176هـ - أكتوبر 788م[1].

خاتمة:

لقد تمكن عبدالرحمن الداخل بسياسته وحكمته أن يؤسس دولة قوية في بلاد تتنازعها الأهواء وتتحكم فيها الحزبية والعصبية، فقد التف حوله ثلاثمائة من الموالي أنتصر بهم على المضريين والقيسيين والبربر وأقام دولة وليدة تصدت – بعد القضاء على الثورات الداخلية – لدولتين خطيرتين، هما الدولة العباسية في المشرق ودولة شارلمان في أوروبا، وكان النصر حليفه مما جعلنا نقف مشدوهين أمام هذه الشخصية الفذة في التاريخ.

لقد دون الدواوين ورتب شئون الدولة، و قسم الأندلس إلي مناطق إدارية، وتمكن من ضبط الأمن وإعادة الاستقرار إلي ربوع بلاد الأندلس رغم المشاكل والتحديات الكبيرة التي واجهته.

لقد تمكن عبدالرحمن الداخل من بناء دولة قوية بعد أن جاء إلي الأندلس أعزل من السلاح والأتباع وذلك بقدراته الإدارية وخططه الإستراتيجية والعمل الدؤوب المتواصل فقد قضى عمره كله في الجهاد حتى إستطاع بهمته العالية أن يحقق جميع أهدافه.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1- ابن الأثير – الكامل في التاريخ – دار إحياء التراث العربي – بيروت - ج5- 1965م.

2- ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار إحياء التراث العربي – بيروت – ج4 – ب.ت.

1 - راغب السرجاني – مرجع سابق – ص167.

3- ابن عذارى – البيان المعرب في أخبار الاندلس والمغرب – ج2 – دار الثقافة – بيروت - ب.ت.
4- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي)– تاريخ دمشق - تحقيق وشرح أبو عبدالله علي عاشور– دار إحياء التراث العربي- بيروت ط$_1$2001$_1$م.
5- ابن كثير (ابو الفداء اسماعيل بن عمر) – البداية والنهاية - تحقيق علي شيري – دار إحياء التراث العربي - بيروت – ج10 – ط1 – 1988م.
6- أبو الحسن النباهي - تاريخ قضاة الأندلس – تحقيق لجنة إحياء التراث العربي – دار الآفاق – بيروت – 1983م.
7- أبو الوليد الأزدي - تاريخ العلماء بالأندلس- تحقيق عزت العطار الحسين – مطبعة المدني – القاهرة – 1988م.
8- خير الدين الزركلي- الاعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين – تحقيق الدهان عبدالسلام- دارالعلم للملايين الجزء3.ط$_{16}$-2005م.
9- عبدالواحد المراكشي –المعجب في تلخيص أخبار المغرب.تحقيق محمد سعيد العريان –الكتاب الثالث القاهرة 1963م.
10- مسلم النيسابوري – صحيح مسلم – باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع – حديث رقم 1852 – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ب.ت.
11- المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – دار صادر – بيروت – 1968م.

المراجع:

1- ابن الخطيب - تاريخ اسبانيا الاسلامية –ج2 - 1956م.
2- طارق السويدان –الأندلس التاريخ المصور- شركة الإبداع الفكري- الكويت – 2005م.
3- راغب السرجاني – قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط – دار إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة – ط1 – 2011م.
4- محمد كمال شبونة-الأندلس- دراسة تاريخية حضارية. دار العالم العربي – القاهرة 2008م.